العدد (4059) السنة الخامسة عشرة - الأحد (5) تشرين الثاني 2017
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

في البدء

▪ علاء المفرجي

العمارة هويتنا لو نعرف!

غياب التخطيط والاهتمام بالتراث، فضلا عن نقص الوعي في أهمية التراث المعماري هو السبب الاساس في اندثار الكثير من الابنية ذات الطراز المعماري التي تؤشر للهوية البغدادية والتي حافظت على قيمتها العمرانية والجمالية لقرون عديدة، فقد أزيلت المئات من البيوت التراثية المنتشرة في جانبي الكرخ والرصافة وخاصة على امتداد ضفتي نهر دجلة.

ولم يكن هذا الأمر مقتصرا على إزالة مثل هذه الابنية بقرارات غير مدروسة، بل أيضا بالتشويه الحاصل في عملية البناء وعشوائيتها والتغليف الذي يمعن في تكريس صورة قبيحة للعمارة، والتي لاتشكل أي امتداد للعمارة البغدادية وتنافرها مع أي قيمة جمالية.

أما المهندس هشام المدفعي قال: «إن التراث المعماري في مراكز المدن بات يتطلب خطوة مهمة للمحافظة عليه، وقد تحدثنا منذ سنوات طويلة عن أهمية الحفاظ على المراكز والمباني التراثية سواء المنتشرة في مراكز المدن العراقية، وفي العاصمة بغداد، ولكن مع الأسف لم تجد تلك الدعوات استجابة من قبل المؤسسات الحكومية والجهات المعنية».

المشكلة اذن في لا أبالية الجهات المعنية بهذا الموضوع، وعدم اعتماد خطة مدروسة لهذا الأمر تتضمن اراء وافكار المتخصصين في هذا المجال والأخذ بعين الاعتبار ابعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

فقد أثيرت أكثر من مرّة، قضية التشويه والابتذال الذي تتعرض له العمارة العراقية، بشكل يتجاوز إطارها المهني البحت، إلى كونها قضية شأن ثقافي بل ووطني.فهي قضية مؤلمة وحزينة، عندما تتعرض نماذج العمارة العراقية الى الإهمال والتشويه والتغيير التعسفي وحتى الإزالة. فالاهتمام بها يتجاوز اطارها المهني، لتشكل قضية هم ثقافي وحتى وطني، نظراً لما تمثل تداعياتها السلبية من تشويه ومحو للذاكرة الجمعية.في كل دول العالم الفقيرة منها والغنية، ثمة اهتمام جدي يؤدي إلى الأثر الثقافي المادي، بضمنه العمارة. وهذا الاهتمام، هو اهتمام مشروع ومفهوم، ومطلوب؛ إذ أن الامر يتعلق بالارث الثقافي الواجب الحفاظ والبقاء، حتى يمكننا، كما اشرت في اجابتي عن سؤال سابق، للسير قدما نحو الافضل والأحسن والأكثر فائدة وجمالا. بالاضافة طبعا الى أن المحافظة على تلك النماذج

البنائية، مسوغة ثقافياً ومطلوبة مهنياً، كونها تجسد ذاكرة لمراحل تاريخية تخص انجازات ماضي البلد وشعبه، وهذه الذاكرة ستعمل جيداً وتؤثر عميقا، عندما تكون حاضرة دوما ومحافظاً عليها جيدا. كتب رفعة الجادرجي، المعمار العراقي الرائد، مرة: "..انني أؤمن بأن البناء الحضاري يؤلف النصف الأول في عملية الإنجاز، وأن النصف الثاني، وربما الأهم، هو صيانته والحفاظ عليه باعتباره من ذاكرة المجتمع وامتداداً لهذه الذاكرة في الزمن. واعتقد أن الشعب الذي لا يتمكن من صيانة إبداعه، هو شعب لا يمتلك ذاكرة يسخرها في المزيد من البناء الحضاري، بل لا يعي بأن الذاكرة هي أساس في تكوين وجدان المجتمع". وهو قول لا يمكن للمرء، إلا أن يتفق معه.

فنحن بحاجة إلى إشاعة الوعي بأهمية وخطورة هذا الأمر، وما يقوم به الدكتور المعاري والباحث خالد السلطاني في التعريف بالعمارة البغدادية بمقالاته التي ينشرها فضلا عن الكثير من المؤلفات التي تخص العمارة البغدادية ، يدخل ضمن هذا التوجه، حيث يرى:

إن المعرفة بالعمارة وإمكانات نقدها من قبل مستغليها، يوفران مناخات صحية لتقييمها، وبالتالي تحسين أدائها، فضلا عن أن انتشار الوعي بالعمارة يثري ثقافة الإنسان، ويضيف إلى خزينه المعرفي دراية جديدة. وهو ما كرس له جهده المهني والشخصي.

بين فوضى وعلمية حركات الاصلاح

"هذا هو أفضل عالم بين كل العوالم الممكنة" هذه العبارة للمفكر المعروف ليبنتز. المعروف عن هذا الرجل إنه لا يميل الى العنف وميال كثيراً الى الهدوء والراحة. ما كان مثل غيره هاوي إثارة بل كان مهنياً يكسب عيشه بكتابة حوادث بلاط هانوفر. كتب فلسفةً سيئة وكتب فلسفةً حسنة ولم يعبأ كثيراً بنشرها لأنها تكلفه ما يكسبه بعسر.

ياسين طه حافظ

هذا العرض، وهذا الوصف لهذه الشخصية، يقربها منا، من عديدين غير متكسبين، غير مهرجين ميالين للصخب ولكن للكتابة الهادئة بعيداً عن الإثارة وبعيداً عمّا هو غير ضروري للفهم.

لكن ليبنتز ليس وحده له هذه الخصال. لنا اساتذة كبار وللعالم، يمتازون بالهدوء واللطف الإنساني وبالنزر من الكلام. هو أدرك، كما أدركنا، الكثير من الأمور السطحية واللغو اللا طائل وراءه ومن الأكاذيب التي تشغل أجواء الناس وتبعدهم لا عن الحقيقة حسب ولكن عن هدوئهم الشخصي وعن سكينة العيش والحياة.

كان له تفكيرٌ ديني أساساً، قَلَبَ بطانته ليكون سلوكاً شخصياً. هو يعلم، كما نعلم، بأن هناك ضرورات جبرية وإن الدنيا ليست تحت سلطاننا فعليه احترام هذا الواقع بما أن العوالم الأخرى لا تبدو أكثر خيراً من عالمنا.

هذا الكلام ينفعنا ألّا نلجأ الى الهرب لننجو. وألّا نكون مخربين وندخل العالم في فوضى. إحترام الواقع والعمل لإصلاحه بهدوء، بعقل، وبتقدير، ذلكم هو العمل السليم. الإنقلابات الانفعالية والهياجات والصخب المنفلت لن تؤدي الى حال أفضل. استياؤنا مما في الواقع ليس مقبولاً أن يكون دافعاً لتخريبه أو لتدميره. ولكن أن نتبصّر وأن نشخص عيوبه بعلمية، وكلٌ بتخصصه. ومن ضمن هذه التخصصات "علم السياسة" لا تهريجها. بذلك نحدث تغييراً للأفضل.

للأسف لم نعتد على الهدوء في الإستياء وفي التغيير أو الإصلاح. نحن نتعامل بإنفعال مفرط وبعدوانية تضيع علينا النتائج المرجوة من الإحتجاج أو من النقد أو من الرفض. فترانا ننتقل من واقع سيئ أردنا له بديلاً أفضل ، لنواجه سيئات أخرى كامنة سرعان ما تسيطر على المشهد.

الجماهيرية لا تعني أبداً نفي التخصص والعلم والإدراك السليم الهادئ. على العكس، مفروضٌ بها أن تتبنى ذلك لتكون متبصرة بما قد يسرق جهاديتها ونضالها. وهذا تماماً ما تعرضنا له ونحن جميعاً نعرف تفاصيله. لسنا في زمن الثورة الفرنسية ولا في زمن ثورة اكتوبر. نحن في عصر أكثر مدنية، أكثر تحضراً، أكثر وأفضل علماً ورؤية. الجماهير غالباً، وهي تتفجر من أذى ومن سوء وأخطاء، لا تدرك إن وراء ما ترى مشكلةً أعمق ستفيد منها القوى الانقلابية او الجائحة لتعزلهم مرة أخرى وأن بعد بضع سنوات من الوعود والاصلاحات الجزئية، المظهرية ... وحتى عبور الجسر.

نعلم كم شغلت البشرية أكاذيبُ العرق والدين وأدخلتنا في سنوات دمار وقتل وكراهات بعضها ما يزال عالقاً بالنفوس التي لم تبرأ منه. مع إن الناس أدركوا اكذوبة العِرق وكشفت لهم المختبرات الانتماءات المتباعدة جداً.

هذا مثل لما ندعو إليه. دعوتنا لعدم ابتعاد التخصص العلمي والنضج الثقافي عن حركات التغيير أو حركات الاصلاح، لكي أولاً لا تضيع جهود العاملين. وثانياً لكي لا تنبثق شرورٌ مخبأة وراء مظاهر الأشياء. رؤية السطح مطلوبة ولكن الاكتفاء بها هو الخطأ المميت ولاسيما في عصرنا الملغوم بالخطط وبخرائط المستقبل وبالخطوط السرية التي قد تسحبنا الى خسارات فادحة فنعود نثني على ماض كان سيئاً و رثّاً. ثمة عقائد قائمة على أسس لا وجود لها ولكنها عملت على حرق وتخريب العالم، النازية مثلاً، العلماء يعرفون ان لا عرق و لا نقاوة جنس . لكن تنحية التخصص عن الفعل جعل وسرعان ما بدأ الأخوة باصدار صحف سرية مثل نول مولار (لا تستسلم)،و يثيرون زعماء المعارضة ضد موسوليني ويستخدمون الطائرات لإسقاط منشورات سياسية على المدن الإيطالية.

الكاتبة كارولين مورهيد، التي نشأت في إيطاليا وتتحدث الإيطالية، تصور في كتابها تجارب وخبرات عائلة روسيلي بتفاصيل حميمة: الحبر غير المرئي، والهروب من السجن، والمراسلات المشفرة، وكثرة الجواسيس. ،والكتاب يقرأ كانه فيلم إثارة .و في مواضع أخرى،فان المؤلفة أحيانا يمكن أن تضيع في التفاصيل وتفترض ان القارئ يجيد الإيطالية. يمكن أن يكون الوصف الروائي للشخصيات الثانوية مفرطا، على سبيل المثال: تقول في احدى العبارات "كان دوميني شابا ذو وجه بسيط، مع شعيرات مظلمة متناثرة بدقة وآذان تمسك بها. كان لديه شارب صغير مرتب، ولكن بدون لحية".

ومع ذلك فهي تقدم في المقام الأول، عملا رائعا ، تصف فيه زحف الفاشية في ايطاليا ، وتأثيرها على المواطنين العاديين، مع تركيز حاد وعميق على الاحداث التي تستحق الذكر. ربما كان موسوليني قد جعل القطارات تصل في الوقت المحدد، لكنه جعل إيطاليا تركع على ركبتيها قبل أن يضع الشعب الإيطالي أخيرا حدا لحكمه الوحشي.

قبل نهايته الدموية، كان موسوليني بالنسبة للعديد من الإيطاليين هو الحل لجميع التحديات الاقتصادية والاجتماعية لبلادهم. حتى وينستون

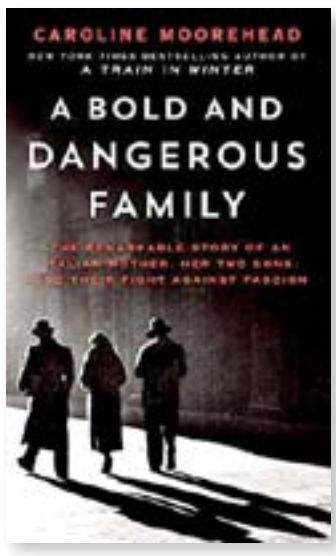

تشرشل اعجب ب "يده الثابتة" في عام 1927، عندما كان من الجلي أن قسوة الفاشية واضحة للعيان. المشكلة، بالطبع، عندما تصبح اليد القوية قبضة حديدية. وعندما اتفق البابا مع موسوليني. وجد الناس أنه مفيد بطرق مختلفة. بالنسبة للبعض، بدا ترويض النمر وكأنه فكرة جيدة، على الأقل لتهدئته، حتى اكتشفوا ما كان عليهم أن يخسروه.

في محاكمته، أدلى كارلو روسيلي ما وصفته المؤلفة "بالخطاب الأكثر تأثيرا، والذي يذكر مرارا في سجلات مكافحة الفاشية:

"كان لي منزل: ودمروه. كانت لي مجلة: فصادروها. كان لي مقعد في الجامعة: اضطررت إلى التخلي عنه. كان لدي، كما لدي اليوم، أفكار وكرامة ومثالية: لقد أرسلت إلى السجن. كان لدي معلمون وأصدقاء - أمندولا، وماتوتي، وجوبيتي - قتلوهم جميعا".

حكم كارلو بالسجن 10 أشهر ، بسبب انتقاده لموسوليني. لكن هذه كانت إيطاليا الفاشية في عام 1927، التي نالت اعجابا منقطع النظير من رجل في الشمال كان محرضا سياسيا ألمانيا غامضا (كان في الواقع رجل نمساوي) يدعى أدولف هتلر: ازدادت سطوة موسوليني وحكم على كارلو بخمس سنوات من النفي الى جزيرة صخرية قبالة ساحل صقلية.

وقد خضعت وسائل الإعلام والسلطات القضائية لموسوليني تماما واصبح هو القانون. ومع ذلك، فإن ملحمة روسيلي لا تنتهي هنا

■ عن: كريستيان ساينس مونيتور

مراجعات

عائلة جريئة وشجاعة.. رواية عن تحدي الايطاليين للفاشية

ترجمة: عادل العامل

لم تكن الفاشية قدرا حتميا لإيطاليا، وربما لم تكن حتى أمرا محتملا .فقد تم حظر مشاركة الفاشيين في الانتخابات البرلمانية لعام 1919. ومع ذلك، حصلوا في انتخابات عام 1921 على 35 مقعدا، بما في ذلك مقعد واحد لبينيتو موسوليني؛ ومع ذلك، فإنهم ظلوا حزب الأقلية.

ولكن في العام التالي، كان الفاشيون يقيمون المسيرات في روما، ويرتكبون أعمال عنف في أماكن أخرى في إيطاليا، ويهددون الحكومة المنتخبة ديمقراطيا. وبدلا من أن يأمر الملك فيكتور إيمانويل الثالث قوات الجيش بإخماد التمرد الوليد، دعا النائب موسوليني (39 عاما) إلى تشكيل حكومة جديدة. وكانت تلك بداية نهاية الديمقراطية في إيطاليا التي دامت لأكثر من 20 عاما.

استغل موسوليني ببراعة مخاوف الإيطاليين من الاضطراب السياسي والاقتصادي في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وخيبة أملهم من حصة إيطاليا من غنائم الحرب، والرهبة المبالغ فيها من الشيوعية. وتلقى دعما من رجال الأعمال والصناعة والأحزاب اليمينية.

وحيث لم يستطع الملك ولا البابا بيوس الحادي عشر - الذي وصف موسوليني فيما بعد "الرجل الذي أرسلته العناية الالهية لنا" - ولا الأحزاب السياسية الإيطالية المتقلبة من وقف زحف الفاشيين، فإن العبء وقع على الآخرين، ومن أبرزهم عائلة روسيلي من فلورنسا.

في رواياتها الجديدة (عائلة جريئة وشجاعة : قصة رائعة لأم إيطالية وابنيها، وكفاحهما ضد الفاشية)، تكشف الكاتبة كارولين مورهيد باقتدار عن الكفاح الذي خاضته أميليا روسيلي وأبنيها، كارلو ونيلو، ضد الطغيان الذي اجتاح ايطاليا من 1922 إلى 1943. كانت معركة غير متكافئة، ولكنها مليئة بالكثير من قصص الشجاعة والتضحية، والاحداث الدرامية. كانت أميليا امرأة غنية وقوية،وهي كاتبة مسرحية وناشطة نسوية؛. توفي ابنها الأكبر، ألدو،في القتال في الحرب العالمية الأولى. وقد حطمها هذا الحادث، ولكن مسيرتها مع الأحزان كانت قد بدأت للتو.

كان ابنها كارلو روسيلي، الذي ولد في عام 1899، واحدا من خصوم موسوليني العنيدين ، وكان يعتقد على نطاق واسع أنه خليفة محتمل له كرئيس وزراء "" إذا ما تمكن من ان يحول قطار الفاشية عن مساره. وقد ذكر البلاشفة بخيرلفترة من الوقت، وكان مستاء من تروتسكي (كانا يتجادلان كثيرا)، ولكنه سرعان ما استقر في منتصف الطريق على الانضمام الى صفوف الاشتراكية الديمقراطية.

كارلو و نيلو كانوا يتابعون حياتهم الدراسية في أوائل العشرينيات في خضم تصاعد نجم موسوليني ، الذي كان يحب التجول في جميع أنحاء روما بصحبة اسد صغير، كان يشدد قبضته على السلطة. لكن الاغتيال الوحشي لزعيم المعارضة جياكومو ماتيوتي في عام 1924 غير كل ذلك.

هناك أنواع من المرايا التي يمكن استخدامها للكشف عن الوجه السري اللامنظور، فثمة المرايا المستوية التي تعكس ماهو أمامها وتماثل الروايات الحكائية الواقعية التي يمارسها كتاب مبتدئون يحكون سيرتهم واعترافاتهم.

قناديل

▪ لطفية الدليمي

الرواية: صعود التل حتى النهاية

أعدّ كتاب (فن الرواية) لكولن ويلسون من بين أهم الكتب الأساسية التي تناولت صنعة الابداع و الفن الروائي وحرفية هذا الفن وأسراره ، وأستطيع القول- أنا التي قرأت معظم أعمال ويلسون وترجمت سيرته الذاتية (حلم غاية ما) - إن كتاب فن الرواية كتبه أستاذ بارع وكاتب شغوف بالفن الروائي يؤمن إيمانا لاحدود له بمستقبل الرواية وأهميتها في حياتنا كتّاباً وقراءً.

كان كولن ويلسون – الذي ترجمت له حوارات ومقالات نظرية عدة – كاتباً استثنائيا ومفكراً ديناميكياً مؤسساً تجاوز عدمية الوجودية الفرنسية بوجوديته المنطوية على حس رقيق بالتفاؤل، إضافة إلى أنه مؤرخ انثروبولوجي وباحث فلسفي مرموق واستحق أن يطلق عليه البعض وصف (هيدرا معرفية) ، والهيدرا – كما نعلم – كائن اسطوري بسبعة رؤوس ، وينطبق هذا التوصيف على ويلسون الكاتب الدؤوب والمفكر الواسع المعرفة متعدد الاهتمامات .

يلخص ويلسون في الفصل الأول من (فن الرواية) رؤيته الخاصة لعملية الكتابة الابداعية ويصفها بأنها (عملية شاقة كالصعود إلى أعلى التل ، حيث يتساقط الضعفاء بينما يواصل الأقوياء بهدوء ليصبحوا كتابا جيدين) .

في خاتمة هذا الكتاب ثمة (خلاصات) يكثف فيها ويلسون خبرته ورؤاه الشخصية وقد ترجمت أجزاء أساسية منها اضفتها الى القسم الاول من كتاب (حلم غاية ما) بعنوان (رؤية روائية) ، يقول ويلسون (أبتغي عرض وجهات النظر الخاصة بي حول الرواية والفن الروائي بعامة ولكني أفضل أولا تلخيص الأفكار الأساسية في هذا الكتاب) .ويثبت ويلسون في ملخصه : أن الرواية هي في المقام الأول محاولة لابتكار مرآة يستطيع الروائي من خلالها رؤية وجهه وهي بهذا الوصف محاولة لخلق الذات وتوكيد وجودها) ؛ فتقديم صورة الكاتب والتعريف الواضح والحاسم بها يعني أن هدف الفن الروائي والفنون جميعها ليس نقل الواقع أو وصف الحقيقة بوضع مرآة أمامهما ، بل وضع المرآة أمام وجه الفرد ، وجهه الخفي المستتر الذي لانراه في الحياة اليومية المعنية بظاهر الأمور وعابرها.

هناك أنواع من المرايا التي يمكن استخدامها للكشف عن الوجه السري اللامنظور، فثمة المرايا المستوية التي تعكس ماهو أمامها وتماثل الروايات الحكائية الواقعية التي يمارسها كتاب مبتدئون يحكون سيرتهم واعترافاتهم ، وهناك المرآة المحدبة الصغيرة التي تشوه الوجوه ، وثمة المرايا المحدبة التي بوسعهاعكس صورة بعدسة متسعة الزاوية، وبالتالي فإن هدف الرواية ومسعى الكاتب المتمرّس ليس إظهار الواقع كما هو بطريقة فوتوغرافية ، بل تحريك وجدان القارئ وجعله قادرا على وعي وجوده وتجربته الانسانية خلال القراءة ، بمعنى آخر، يساعد الروائي قارئه على إدراك حريته، فيقوده عبر دروب الرواية ومنعطفاتها الى النقطة النهائية التي يرنو اليها القارئ في آخر متاهة الرواية ليشعر كلاهما ببلوغ حريته والارتقاء بعالمه.

يؤكد ويلسون إن مسعى الرواية لايميل الى خلق عالم منعزل ومستقل للكاتب بقدر مايعينه على الخوض في عالم الأفكار ؛ فالرواية تجربة فكرية تسعى الى تحقيق الحرية، وعبر هذه التجربة يكتشف الكاتب القدرة على الارتقاء بذاته وقرائه أيضا ، وسوف يكفّ القارئ الذي يستمتع بقراءة رواية تشدّه بقوة عن الإحساس بالعجز والزوال ، ويبلغ بعض القراء حالة من الاستمتاع والتحفيز تعينهم على الحلم و تخطي واقعهم المحبط ، وبوسع الروايات العظيمة تغيير منظور القارئ لنفسه والحياة وإطلاق قدراته لتجاوز المحدودية الفيزيائية البشرية وإيقاد شرارة القيم الخفية في وعيه فهي في النهاية محاولة للصعود الممتع نحو الأعالي.